

نجد

منذ القرن العاشر الهجري

حق ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب

دكتور : عبدالله الصالح العثيمين

علاقتها بالقوى المحيطة بها :^(١)

من المعروف لدى كثير من دارسي تاريخ هذه البلاد انه بعد ان ضعفت الدولة الاخضرية التي اسسها محمد بن يوسف العلوي في منطقة اليمامة أصبحت نجد أكثر تفككا من ذي قبل ، كما أصبحت هدفا لغزوات القوى المحيطة بها فلكلا لامتداد نفوذها سواء تلك القوى المتمثلة في الدول التي قامت في شرق الجزيرة العربية (الاحساء) او تلك القوة المتمثلة في اشراف مكة .

ويهمنا في هذه الصفحات من الدول التي قامت في منطقة الاحساء دولة الجبريين التي بلغت درجة كبيرة من القوة ، والتي بدأت غزواتها لنجد منذ منتصف القرن التاسع الهجري حيث يقول المؤرخ عبد الله بن بسام :

« وفي هذه السنة (٨٥١) غزا زامل بن جبر العقيلي العامري ملك الاحساء والقطف ومعه جنود عظيمة من البادية والعاصرة وقصد الخرج وصبح الدواسر وعايذ على الخرج وحصل بينهم قتال شديد قتل فيه عدة رجال من الفريقين ثم صارت الهزيمة على الدواسر وعايذ واستولى زامل على محلتهم وأغنمهم وبعض ابلهم واقام في الخرج نحو عشرين يوما ثم قفل عائدا الى وطنه » (٢)

واستمرت غزوات الجبريين لنجد خلال النصف الثاني من القرن التاسع الهجري واوائل القرن الذي تلاه، ويلاحظ أن أكثر تلك الغزوات كان موجها ضد قبيلة الدواسر على أن قبائل اخرى كالفضول وآل عايد وآل مقبرة وسبيع تعرضت لهجمات الجبريين ولكن بدرجة أقل من تعرض القبيلة السابقة . وكان من بين أسباب تلك الغزوات اعتداء القبائل المذكورة على بواد تابعة لحاكم الاحساء أو قوافل تجارية قادمة من تلك المنطقة الى نجد ، وكثيرا ما تكلفت تلك الغزوات بالنجاح (٣)

وكان للجبريين نفوذ في نجد يوضحه أن بعض المصادر وصفت أجود بن زامل أحد حكامهم المشهورين بأنه « رئيس أهل نجد ورأسها ٠٠ » (٤) وتدل عليه أيضا قصيدة جعيعن اليزيدي العنفي التي يمدح فيها مقرن بن أجود بقوله :

حمى بالقنا هجرا الى ضاحى اللوى
ونجد رمى ربعي زاهي فلاتها
الى العارض المنقاد نايبي الفرايد
على الرغم من سادات لام وخالد
قد اقتادهم قود الفلا بالقلايد (٥)

على أن الخلافات الداخلية حول الحكم انهكت الدولة الجبرية ، وزاد من مصيبتها تدخل البرتغاليين في المناطق التابعة لها ، وهو التدخل الذي ذهب ضحيته مقرن بن أجود نفسه سنة ٩٢٧هـ (٦) ثم انتهت هذه الدولة على يد راشد بن مغماس عام ٩٣٢هـ (٧)

وفي الوقت الذي كان فيه البرتغاليون يهددون جزيرة العرب من عدة جهات بحرية كان العثمانيون يحرزون انتصارات على خصومهم المماليك . وحين استولى السلطان سليم على مصر سنة ٩٢٣ هـ انضمت الحجاز رسميا تحت النفوذ العثماني واتجهت انظار العثمانيين الى بقية جزيرة العرب رغبة في التوسع ودفعاً لخطر البرتغاليين عن منطقة تضم مقدسات اسلامية ، وقد نجح العثمانيون في التوغل في اليمن وصارعوا البرتغاليين على شواطئ البحر الاحمر كما صارعوهم في منطقة الخليج ، ثم استولوا على الاحساء سنة ٩٦٣ هـ (٨) وبانت نجد معاطة من جميع جهاتها تقريبا بمناطق خاضعة للعثمانيين الامر الذي يبدو أن اشراف مكة حاولوا استغلاله لمصلحتهم . ومن حسن حظ هؤلاء الاشراف أنه في تلك الفترة بالذات ظهرت بينهم شخصيات قوية كابي نسي الثاني فبدات غزواتهم لنجد حين قام حسن بن ابي نسي المذكور بغزوة اخترق بها نجدا حتى وصل الى العارض وهاجم بلدة معكال التي اصبحت جزءا من مدينة الرياض الحالية وذلك سنة ٩٨٦ هـ ثم هاجم امكنة تقع جنوب المنطقة السابقة بعد ذلك بثلاث سنين (٩) واستمرت غزوات الاشراف لنجد بعد ذلك وان كانت متباعدة في اوقاتها (١٠)

ويلاحظ ان اكثر غزوات الاشراف هذه كانت موجهة ضد سكان المدن والقري
يعكس هجمات الجبريين التي كانت موجهة عموما ضد رجال القبائل . وبما ان
الحضر عادة لا يعتدون على قوافل الحجاج فانه من المستبعد ان تكون حماية طرق تلك
القوافل سببا لغزوات الاشراف لنجد . والمرجح ان تلك الغزوات كانت تهدف الي
الحصول على غنائم وفرض سلطة عليا على البلاد تفرض من خلالها ضرائب سنوية
على السكان . والمتتبع لاجراءات الاشراف يرى ذلك بوضوح فقد كان على بعض
البلاد النجدية في وقت من الاوقات ان تدفع مبلغا من المال كل سنة الى خزينة مكة (١١)
كما كان فشل بعض هذه البلاد في دفع المبلغ المفروض عليها او معاولتها الثورة
سببا في معاقبتها بشددة (١٢)

وفي غضون ذلك كانت قبيلة بني خالد آخذة طريقها الى الزعامة حتى تمكنت
من فرض قوتها في شرق جزيرة العرب خلال النصف الثاني من القرن العاشر عشر
الهجرى . كما كان نفوذ العثمانيين اخذا في التقلص نتيجة المتاعب الداخلية
والخارجية التي كان العثمانيون يواجهونها ، وكانوا قد اضطروا الى ترك اليمن
بسبب الثورة التي قامت ضدهم هناك . وقد استغل بنو خالد هذه الفرصة فهاجموا
بقيادة براك بن غرير قوات العثمانيين في الاحساء وطردوهم من تلك المنطقة
سنة ١٠٨٠ هـ (١٣)

وما ان تمكن بنو خالد من السيطرة على مقاليد الامور في الاحساء حتى اتجهت
انظارهم الى مد نفوذهم في بعض مناطق نجد ففزا براك بن غرير آل نهبان
قرب سدوس عام ١٠٨١ هـ وبعد سبع سنوات هاجم آل عساف قرب الدرعية (١٤)
ومضى بنو خالد يغزون نجدا ويعاولون مد نفوذهم على اجزاء منها (١٥) مزاحمين
بذلك نفوذ اشراف مكة . وكانت علاقة النجديين بحكام الاحساء ذات أهمية خاصة
لان منطقة الاحساء كانت متنفسا اقتصاديا لنجد حيث كان يذهب اليها النجديون
بعثا عن الرزق خاصة في اوقات الشدة والقحط (١٦) ، كما كانوا يترددون اليها
ليستوردوا منها او عن طريق موانئها ما يحتاجون اليه .

وعلى اية حال فاننا حينما نتكلم عن نفوذ تلك القوى المحيطة بنجد في هذه المنطقة فاننا
لا نعني به النفوذ القوي الذي يفرض وجوده على سير الحوادث بدرجة كبيرة ، ذلك
انه لا نفوذ الجبريين في نجد ولا نفوذ اشراف مكة في بعض جهاتها او نفوذ بني خالد
في بعض جهاتها الاخرى احدث فيها نوعا من الاستقرار السياسي ، فالحروب بسين
البلدان النجدية استمرت قائمة ، والصراع بين قبائلها المختلفة لم يتوقف او تخف حدته

الهوامش والمصادر

- ١ - الهدف الرئيسي من هذه المقالات اعطاء فكرة مختصرة عن الاوضاع السائدة في نجد خلال تلك الفترة سياسيا واجتماعيا ودينيا .
- ٢ - « تحفة المشتاق في اخبار نجد والحجاز والمراق » صورة نقلها من المخطوطة الاصلية نور الدين شرييه ، ورقه ٨٠ . وكلام ابن بسام صريح في أن زامل بن جبر كان حاكم الاحساء والقطيف آنذاك . ولكن السخاوي في « الضوء اللامع » (القاهرة ، ١٢٩٣ هـ) - ج ١ ص ١٩٠ يقولون أن سيف بن زامل هو الذي انتزع حكم تلك المنطقة من بني جروان . وقد يكون سيف هو الذي قام بتلك الفسوة .
- ٣ - عبد الله بن بسام - المصدر السابق - الورقات ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٥ ، ١٦ .
- ٤ - السهوي - « وفاة الوفا » (القاهرة ، ١٢٢٦ هـ) ج ٢ ص ٢٨٨ .
- ٥ - حمد بن لعبون - « تاريخ حمد بن لعبون » (مكة ، ١٢٥٧ هـ) ص ٢٢ . قارن الشيخ حمد الجاسر - « مدينة الرياض عبر اطوار التاريخ » (الرياض ، ١٣٨٦ هـ) ص ٨٣ .
- ٦ - ابن ابياس « بدائع الزهور » (القاهرة ، ١٢٨٠ هـ) ج ٥ ص ٤٢١ - ذكر الاستاذ جورج رنتز في مقاله « جزيرة العرب » في الطبعة الجديدة من دائرة المعارف الاسلامية باللغة الانجليزية أن مقرنا كان عم وخليفة أجود . والواقع أن مقرنا كان ابن أجود لا عمه كما أنه لم يخلفه بل الحكم وإنما خلف أجود ابنه محمد .
- ٧ - محمد آل عبد القادر - « تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والجديد » (الرياض ، ١٣٧٩ هـ) ج ١ ص ١٢١ .
- ٨ - محمد آل عبد القادر - المصدر السابق ج ١ ص ١٢١ .

٩ - عبد الملك النعساني « سبط النجوم العوالي » (القاهرة ، ١٣٨٠هـ) ج ٤ ص ٣٦٨ - قارن
ابن بشر « عنوان المجد » طبعة وزارة المعارف السعودية الثانية ١٣٩١ هـ ج ٢ -
سوابق - ص ١٩٥ .

١٠ - المصدر السابق ص ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٥ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٣ ، ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ،
٢٢٣ و ٢٢٨ .

١١ - المصدر السابق ص ١٩٥ .

١٢ - ابراهيم بن عيسى « تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد » (الرياض ، ١٣٨٦هـ) ص ٧٠
Gerald de Gawry " Rules of Mecca " (London , 1951) p. 158.

١٣ - ابن بشر « المصدر السابق » ج ٢ - سوابق - ص ٢١١ .

١٤ - المصدر السابق ص ٢١٢ و ٢١٣ . ١٥ - المصدر السابق ص ٢١٤ ، ٢١٨ ، ٢٢٥ .
١٦ - المصدر السابق ص ٢١٣ و ٢٢٥ . ٢٢٨ ، ٢٤١ و ٢٢٣ .

Abn Hahoima. "Hirtory of Eastern Arabia (1750—1800)" (Beirut,
1963) p. 40.